

الخارطة الديموغرافية لشمال سوريا ضحية تاريخ من العبث العثماني

أردوغان: العرب أنسب لشمال سوريا الذي تختلط فيه مختلف الأعراق



المنطقة الآمنة نسخة معاصرة من عمليات الترحيل خلال العهد العثماني

170 ألف شخص معظمهم من الأكراد، وانتقل العديد من العرب إلى منازلهم المهجورة. وتروي المحللة في مجموعة الأزمات الدولية، دارين خليفة، تفاصيل رحلة قامت بها مؤخرا إلى شمال سوريا، قائلة إنها شهدت انتشار مشاعر الخوف عند الإعلان عن خطة إعادة التوطين، حيث فهم السكان المحليون أن العائدين سيكفون عربا وأنهم سيوجهون إلى بلدات الأكراد. لذلك، رأى العديد من المواطنين السوريين في خطة أردوغان غطاء لتغيير التركيبة السكانية المألوفة في المنطقة.

وتستبعد خليفة نقل أعداد كبيرة من اللاجئين إلى المنطقة الجديدة، لكنها تعتقد بأن انقراض سحتحاول تحقيق ذلك ولو بدفع البعض منهم إلى هذه الأماكن. وتتقل فورين بوليسي عن منظمة العفو الدولية أن تركيا أجبرت المئات من اللاجئين السوريين على الرحيل بالقوة والعنف إلى إلب التي تعد واحدة من أخطر المناطق في البلاد، وهو ما يعتبر غير قانوني بموجب القانون الدولي.

واتهمت العديد من الأطراف الرئيس التركي بالتخطيط لحملة تهدف إلى التطهير العرقي. وشملت لائحة الأشخاص الذين وجهوا الاتهام نحوهم المندوبة الأميركية السابقة لدى الأمم المتحدة، سامانبا باور، التي انتقدته بعد فرار ما يصل إلى 300 ألف من السكان الأكراد من شمال سوريا خوفا من ممارسات القوات التركية وحلفائهم من المتطرفين العرب.

أنقرة خلطت لتوطين حوالي مليوني لاجئ سوري معظمهم مسلمون سنة، وهم من عرب حلب وإدلب، في مناطق يغلب عليها الأكراد والمسيحيون

وفقا لتقرير الأمم المتحدة، بعد سيطرة القوات التركية على مدينة عفرين في مارس 2018، تم تهجير حوالي

وإدلب، في مناطق يغلب عليها الأكراد والمسيحيون. لذلك، يتهم العديد من النقاد أنقرة بمحاولة إعادة هندسة المنطقة ديموغرافيا لتقليل وجود الأكراد ومؤيدي الحزب الديمقراطي الكردي وحزب الاتحاد الديمقراطي الذي تعتبره حكومة تركيا عدوا لها.

ولطالما بدأ أردوغان مرجحا بإستراتيجية استخدام الهندسة الديموغرافية كأداة سياسية، فقد هدد باستخدام اللاجئين المتدفقين من الشرق الأوسط كسلاح ضد أوروبا، مشيرا إلى قدرته على "فتح الأبواب وغمر أوروبا بالسوريين الذين يعيشون في تركيا". كما بدأ صريحا في تحديد المجموعات حسب المناطق التي تنتمي إليها في سوريا.

وقال للصحافيين خلال مقابلة جمعتهم به في 24 أكتوبر 2019 إن العرب أنسب لشمال سوريا الذي تختلط فيه مختلف الأعراق. وعلل موقفه مدعيا أن "هذه المناطق ليست مناسبة لأنماط حياة الأكراد لأنها صحراوية".

السكاني بين اليونان وتركيا سنة 1923، تحول الاهتمام إلى الأقلية الكردية الكبيرة التي أجبرت على الانتقال إلى المقاطعات الغربية، أين فرضت الهوية التركية عليهم. وفي سنة 1943 أصدرت السلطات التركية قانون إعادة التوطين التركي (بوغروم تراكيا) الذي هدف إلى "إنشاء دولة تتحدث بلغة واحدة، وتفكر بنفس الطريقة، وتتشارك في نفس المشاعر"، وذلك حسب تعبير وزير الداخلية آنذاك، شكري كايا. وأمام التضييق في عشرات الآلاف إلى منطقة الجزيرة الفراتية الشمالية الشرقية في سوريا، أين وجدوا أنفسهم في مواجهة حملات التعريب البعثي تم الهجوم التركي اليوم.

أداة سياسية

لم تنجح تركيا في توسيع سيطرتها لتتجاوز مساحة 400 ميل مربع الموجودة فيها. وكانت تسعى إلى توطين حوالي مليوني لاجئ سوري معظمهم مسلمون سنة، وهم من عرب حلب

أدان العديد خطة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان التي تشمل ترحيل أعداد كبيرة من اللاجئين السوريين وإعادة توطينهم. واعتبرت خطط الرئيس التركي في سوريا امتدادا لتاريخ طويل من العبث التركي في المنطقة غرست جذوره خلال الحقبة العثمانية.

واشنطن - يترجم تاريخ الإمبراطورية العثمانية بقصص المبعدين وحكايا المهجرين وعمليات توطين اللاجئين، خصوصا في سوريا التي كانت دائما محل عبث العثمانيين بهندستها الديموغرافية.

من ذلك التاريخ، يستلهم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قصة المنطقة الآمنة لإعادة توطين اللاجئين. ورغم أن اللاجئين الذين يقصدهم أردوغان هم سوريون في الأصل، إلا أن الصورة التي تعكسها سياسة التهجير التي اقترحتها تحيل مباشرة إلى الماضي وعمليات تهجير ونقل السكان التي كانت تشرف عليها الإمبراطورية العثمانية من أجل فرض ديموغرافية محددة في المنطقة. ويشبه تلك أشداون، المحلل السياسي في مجلة فورين بوليسي، طرح أردوغان، الذي لم يلق قبولا دوليا، بالعمليات التي كانت تعرف باسم سورغون (الترحيل أو النفي) خلال العهد العثماني.

وحتى بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية، وصعود الجمهوريين، لم تتغير تلك السياسة كثيرا في جوهرها حيث لعبت الهندسة الديموغرافية والتطهير القسري دورا رئيسيا في تطور الجمهورية التركية.

وعن ذلك يتحدث الأستاذ في قسم شؤون الأمن القومي بكلية الدراسات العليا البحرية في كاليفورنيا، ريان غينغراس، الذي كتب مجموعة من الكتب عن أصل الجمهورية العنيفة، قائلا "كان ينظر إلى هذه الطريقة كوسيلة لفرض ثقافة وطنية على كامل الأرض وشعبها".

وبعد القضاء على معظم المسيحيين في الإبادة الجماعية واتفاقيات التبادل

بعد خضوع منطقة البلقان إلى الإمبراطورية الروسية سنة 1783 واندلاع حرب البلقان الثانية سنة 1913، هرب ما يصل إلى 7 ملايين مسلم إلى الأراضي العثمانية، لكنهم سرعان ما تعرضوا إلى التهجير القسري عندما ركلتهم السلطات العثمانية إلى مناطق حدودية لتخفيف الأزمات الدينية. وأعادت السلطات العثمانية توطين الشركس الهاربين من الإبادة الجماعية على أيدي الروس في المحافظات السورية المضطربة

التاريخ يعيد نفسه

بعد خضوع منطقة البلقان إلى الإمبراطورية الروسية سنة 1783 واندلاع حرب البلقان الثانية سنة 1913، هرب ما يصل إلى 7 ملايين مسلم إلى الأراضي العثمانية، لكنهم سرعان ما تعرضوا إلى التهجير القسري عندما ركلتهم السلطات العثمانية إلى مناطق حدودية لتخفيف الأزمات الدينية. وأعادت السلطات العثمانية توطين الشركس الهاربين من الإبادة الجماعية على أيدي الروس في المحافظات السورية المضطربة



عندما يكون فهم النص الديني عنصريا يأتي التفسير عنصريا أيضا

الأساسية التي تستند إليها العملية التعليمية. فلو لم تكن هناك مشكلة لأمكن فهم النص الديني وتفسيره بشكل مختلف تماما.

إن اعتبار الحدث على أنه مشكلة دينية سيكون تغاضيا عن خطورة الوضع، لأن هذا النوع من التصورات الفاشية لا يقتصر على اليهود. فعندما يتربى أبناء المجتمع على أساس النظر إلى الجماعات العرقية الأخرى من منظور "طبيعية ثابتة لا تتغير، وممتدة من الماضي إلى العصر الحالي"، فسيتشتر هذا التصور على نطاق واسع، وستعكس تلك التفسيرات العنصرية حول كل مجموعة عرقية لا تحبها. فعندما يكون الفهم عنصريا، يكون التفسير عنصريا أيضا. فلنبدأ بانفسنا، لننتقل عن مقولتنا الراجحة في بيتنا والتي تعكس نظرتنا الفوقية إلى أنفسنا عندما نقول "إن أفكارنا لا تحتوي على مثل هذه الأشياء"، ثم نهجم الآخرين بالتعميمات الشمولية، عندما نقول "إنكم مازلت تعملون كذا وكذا...".

يحظى بالقبول والانتشار في مجتمعنا، لدرجة أنني أعتقد أن شباب "وقف الشباب الوطني" لا يزالون غير واعين لخطورة ما ارتكبوه، بل كل تكمن في الثقافة السائدة والنظر إلى سائر الأعراق والطوائف، وفي المبادئ

فماذا تتوقعون من مسلم تركي يقرأ هذه السطور؟ تدل المقتطفات على أن التصور والانطباع الذي تعطيه رسالة الدكتوراه هذه يتوافق مع التصور العنصري التقليدي القائل "إن اليهود سلبيون وكانوا ضارين للغاية عبر التاريخ"، وقد يكون من الخطأ أن نستخلص من هذا الكتاب الذي نشره وقف الديانة نتيجة خاطئة مفادها أن "الناس يسيئون فهم القرآن ولذلك يأخذون من القرآن أمثال هذه الانطباعات الخاطئة".

بل الصحيح هو أن نقول إن "المجتمع يحمل في ذهنه انطباعات وأحكاما مسبقة من هذا النوع، ولذلك يُساء فهم القرآن على ضوء تلك الانطباعات والأحكام المسبقة".

لقد تم الاعتراف بهذا الكتاب في الأوساط الجامعية في عام 1991 على أنه مساهمة أكاديمية وعلمية، وأطروحة دكتوراه. ثم نشرت المؤسسة الدينية هذه الأطروحة في عام 1995، ومازالت تباع إلى اليوم. ولم يزعج أحد حول ما كتب في هذا العمل الذي لا يزال ينشر أفكاره منذ عشرين عاما. لا يمكن التغلب على هذا الموقف أو التهاون به من خلال تأويله بأنه تفسير خاطئ لنص ديني. إن المشكلة تكمن في الثقافة السائدة والنظر إلى سائر الأعراق والطوائف، وفي المبادئ

حقا، ويذكر القرآن الكريم أن قلوبهم قاسية. وقد فقد اليهود خصائصهم الإنسانية، وأصبحوا منحطين، حتى، من مستوى البهائم". (الصفحة 200).

ونطالع على صفحات رسالة الدكتوراه هذه السطور أيضا: "نتيجة لذلك، يمكننا أن نقول إن اليهود تعرضوا لغضب الله وانتقامه بسبب هذه الأخلاق السيئة (ويسرد المؤلف في دراسته هذه الأخلاق السيئة بالتفصيل). وقد تحققت ما تعرضوا له بأشكال متعددة. والدليل الواضح على ذلك هو أنهم عبر التاريخ الطويل لم ينجوا من البلايا والمصائب". (الصفحة 201).

إن هذه السطور لا تدل على انحصار هذه النظرة العدوانية لليهود بمرحلة تاريخية معينة، بل إنها، بطبيعة الحال، تعكس تقديما عاما ونظرة شمولية على جماعة بشرية معينة، كما أنه يتم النظر إلى البلايا والمصائب التي تعرضوا لها على أنها نتيجة "لغضب الله عليهم" وليس على أنها كانت هجمات عنصرية. ونقرأ أيضا أن "الطرسة والغرور جزء لا يتجزأ من الطبيعة اليهودية، إن اليهود ينظرون دائما إلى أنفسهم على أنهم متفوقون ولا يمكن اعتبارهم متساوين مع الأمم الأخرى... إن الحالة التي عليها يهود عصرنا هي نفس الحالة التي كان عليها يهود عصر النبي". (ص 204).



ولذلك نقول من المحتمل أن المسلمين في ذلك العصر قد فهموا من الآية أن الصداقة مع اليهود أمر غير جيد... ولكن ماذا عن مسلمي اليوم؟ وماذا يفكرون حول الموضوع؟ إن ما نفهمه من هذه الملاحظات والإعلانات هو أن بعض الأشخاص، على الأقل، في قونيا ليس لديهم تصور إيجابي عن اليهود، وأنهم يعتقدون أن الصداقة معهم ليست أمرا مستحسنا في عصرنا أيضا. وهم بالفعل أكدوا على رأيهم هذا وعبروا عنه دون تردد، حتى أنهم وضعوا اسم جماعتهم على تلك اللوحات "جمعية الشباب الوطني".

فكيف وصلوا إلى هذا التفسير؟ ولماذا فسروا الآية من منظور عنصري؟ وهل هذه صدفة؟ لسوء الحظ، حتى أكثر الدوائر رسمية تدافع الآن عن وجهات نظر عنصرية بشأن اليهود. فعلى سبيل المثال إلقاء نظرة على رسالة دكتوراه تم قبولها في الجامعة، ونشرها وقف الديانة التركي سيكون كافيا لشرح الموقف.

بعد أن يذكر الباحث فاتح كسلر هذه الآية التي وضعها الجمعية على لافتاتها في شوارع مدينة قونيا يقول "ربما يكون هناك أناس طبيون، ولو قليلا، من اليهود، ولكن أغليبيتهم فاسقون، ولذلك فهم ليسوا مؤمنين

ولذلك نقول من المحتمل أن المسلمين في ذلك العصر قد فهموا من الآية أن الصداقة مع اليهود أمر غير جيد... ولكن ماذا عن مسلمي اليوم؟ وماذا يفكرون حول الموضوع؟ إن ما نفهمه من هذه الملاحظات والإعلانات هو أن بعض الأشخاص، على الأقل، في قونيا ليس لديهم تصور إيجابي عن اليهود، وأنهم يعتقدون أن الصداقة معهم ليست أمرا مستحسنا في عصرنا أيضا. وهم بالفعل أكدوا على رأيهم هذا وعبروا عنه دون تردد، حتى أنهم وضعوا اسم جماعتهم على تلك اللوحات "جمعية الشباب الوطني".

فكيف وصلوا إلى هذا التفسير؟ ولماذا فسروا الآية من منظور عنصري؟ وهل هذه صدفة؟ لسوء الحظ، حتى أكثر الدوائر رسمية تدافع الآن عن وجهات نظر عنصرية بشأن اليهود. فعلى سبيل المثال إلقاء نظرة على رسالة دكتوراه تم قبولها في الجامعة، ونشرها وقف الديانة التركي سيكون كافيا لشرح الموقف.

بعد أن يذكر الباحث فاتح كسلر هذه الآية التي وضعها الجمعية على لافتاتها في شوارع مدينة قونيا يقول "ربما يكون هناك أناس طبيون، ولو قليلا، من اليهود، ولكن أغليبيتهم فاسقون، ولذلك فهم ليسوا مؤمنين

ولذلك نقول من المحتمل أن المسلمين في ذلك العصر قد فهموا من الآية أن الصداقة مع اليهود أمر غير جيد... ولكن ماذا عن مسلمي اليوم؟ وماذا يفكرون حول الموضوع؟ إن ما نفهمه من هذه الملاحظات والإعلانات هو أن بعض الأشخاص، على الأقل، في قونيا ليس لديهم تصور إيجابي عن اليهود، وأنهم يعتقدون أن الصداقة معهم ليست أمرا مستحسنا في عصرنا أيضا. وهم بالفعل أكدوا على رأيهم هذا وعبروا عنه دون تردد، حتى أنهم وضعوا اسم جماعتهم على تلك اللوحات "جمعية الشباب الوطني".

هيرقل ميلس كاتب تركي



في مدينة قونيا، بلد الصوفي الشهير مولانا جلال الدين الرومي، المعروف بخطابه المتسامح مع الجميع، علقت بعض الجهات لافتات تحذيرية على لوحات الإعلان في الشوارع تتضمن آيات من القرآن الكريم تقول "لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء". وقد أثار ذلك نقاشا في المجتمع التركي وبين الزائرين الأجانب، مما أدى إلى إزالة تلك الإعلانات. كان من بين الآراء السائدة من يقول إن محتوى الآية يشير إلى مرحلة تاريخية معينة، وأنه ينبغي تقييمها ضمن المحتوى التاريخي للآية، وأن النهي "ليس دائما بل هو متعلق باليهود في ذلك العصر". بما أنني لست خبيرا ومتخصصا في الموضوع، فإن وجهة نظري المتعلقة بالآية الكريمة لن تكون ذات أهمية، لكنني أستطيع أن أدلي ببعض أفكارى المتعلقة بالتصورات السائدة في مجتمعنا، حيث أنه ليس من المهم ما تقوله النصوص، بل المهم هو ما نفهمه من النصوص، فإن هذا هو الذي يستعكس على الواقع المعاش والممارسات الفعلية.